

الوحدة الثامنة

العلاقات الدلالية [الترادف، الاشتراك، التضاد]

توطئة.

أدى تباين ظروف نشأة اللغات إلى ظهور علاقات دلالية متباينة، تختلف من علاقة إلى أخرى، ومن لغة إلى أخرى. وهي في العربية كثيرة متداخلة في بعضها، جلية ظاهرة في بعضها الآخر. لقد ازدهرت اللغة العربية مع القرآن الكريم، وعرفت به تنوعاً كبيراً في الاستعمال والدلالة، لذلك أعمل العلماء جهودهم لاكتشاف تلك العلاقات وتحديد الدلالات، تناولوها من أبواب متباينة، نحصي بعضها في ما يلي من علاقات.

يحصيها قطرب ابن المستنير كما يلي:

" الكلام في ألفاظه بلغة العرب، على ثلاثة أوجه،

فوجه منها وهو الأعم الأكثر: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، وذلك قولك: الرجل والمرأة، واليوم والليلة، وقام، وقعد، وهذا لا سبيل إلى جمعه وحصره، لأن أكثر الكلام عليه

والوجه الثاني: اختلاف اللفظين والمعنى متفق، واحدٌ وذلك مثل: عير وحمار وذئب وسيد، وجلس وقعد.

والوجه الثالث: أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً؛ وذلك مثل: الأمة الرجل وحده يؤتم، والأمة القامة، قامة الرجل، والأمة من الأمم، ومن هذا اللفظ الواحد يجيء على معنيين فصاعداً، ما يكون متضاداً في الشيء وضده¹

أولاً : ظاهرتي الترادف والتضاد.

أ/ الترادف أو المترادف في العربية.

ذهب العلماء في تفسير علاقات الترادف في العربية مذهبين:

¹قطرب أبو علي محمد بن المستنير، الأضداد، د ت، د ط، وأورده ابن الأنباري : أبو محمد ابن القاسم الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ت ن 1987، المجلد الواحد، بالشرح ص 5، 7، 8.

أ/ المنكرون: المنكرون له يجعلون صفة اللغة هي الإبانة، قال ابن درستويه: "إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية"، وعرفه السيوطي بأنه: "الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد باعتبار واحد." ²

ب/ المثبتون: المثبتون له أخذوا بمنطق مغاير، "فلو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول في "لا ريب فيه" "لا شك فيه"، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلمّا عُبر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد." ³

وكان أبو علي الفارسي مع أبي هلال العسكري من المنكرين فقد ركّز العسكري على الفروق الدقيقة بين الألفاظ وقال "فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظ والمعنى واحد، والشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني" ⁴ وقد أثبت في كتابه كثيراً من الفروق تبدو في ظاهرها متطابقة كالفرق بين: (الصحة والسلامة، والقدرة والطاقة، والقدرة والاستطاعة والكفّ والإحجام، المنع والصدّ الردّ والرجع، ⁵ والعزیز والقاهر، ⁶ العلم واليقين، العقل واللبّ العقل والحجاء، العقل والنهي، ⁷

ب/ أسباب وقوع الترادف في العربية:

لقد مرّت العربية بظروف تاريخية انصهرت فيها اللهجات العربية، مشكّلة لهجة قريش، اتّسع رقعة الجزيرة العربية، وخروج العربية ودخول اللّغات المجاورة مع الفتح الإسلامي، أدى إلى ظهور المولّد والمعرّب والدخيل.

التباس المعاني الحقيقية بالمجازية وتدوينها في المعاجم.

التغير الدلالي الذي يطرأ على الألفاظ، والتباس الأسماء بالصفات وتدوينها على أنها أسماء وتدوينها في المعاجم.

بالإضافة إلى بعض الأحكام المتعلقة بالبنية والأحكام في العربية كقضايا الصوت، والضرورات في الشعر، والنقط، والإيقاع، والصرف.

ومنه فقد نظر المحدثون للترادف نظرة اعتدال، لم تغال في الإنكار، ولم تبالغ في الإثبات، ولكن اشترطت في قبول الظاهرة أن تكون لها مواصفات منها:

- وحدة المعاني والدلالات الخاصّة بالألفاظ التي تبدو مترادفة عند جميع المستعملين، في الفترة والرقعة نفسها.

²السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ت ح محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ت ط 1987م، ص 402.

³السيوطي، المزهري، ج 1، ص 40.

⁴أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، ص 33.

⁵العسكري: الفروق اللّغوية، ص 130.

⁶أبو هلال العسكري: الفروق اللّغوية، ص

⁷العسكري: الفروق اللّغوية، ص 98.

- الإجماع على أنّ الترادف عند القدماء سببه تعدّد اللهجات، وقد نفى محمود فهمي حجازي وجود الترادف مع التطابق التام في المعنى وظلال المعاني بين الكلمات ويتعلّق الأمر بالكلمات التي تحتل أكثر من دلالة، فهي لفظة واحدة والسياق هو الذي يُظهر المعنى الدقيق للكلمة، فكلمة العَظيم في العربية مثلاً تحمل معنى الضخامة والكبر، إلّا أنّ التوظيف داخل الجملة هو ما يحدّد معناها الدقيق بين كلّ جملة وجملة،
فالباب العظيم هو الرّتاج
والطريق العظيم هو الشارع
والحائط العظيم هو السور
الجيش العظيم هو الفيلق
والمرأة العظيمة هي العبّرة
والشجرة العظيمة هي الدوحة
والسفينة العظيمة هي الخلية
والدلو العظيمة هي الغرب
والحيّة العظيمة هي الثعبان
والآجرة العظيمة هي القرميد
والفأس العظيمة هي المعول
والصومعة العظيمة هي الطّربال⁸ فتتبع المعنى تتبّعاً دقيقاً، يُظهر أنّه لا توجد ألفاظ مترادفة تمام الترادف، وهو ما أظهره أبو هلال العسكري في الفروق.

ب/ التّضادّ

إذا كانت معرفة الكتب هي نصف العلم، فإنّه ينبغي علينا الإمام بكتب كثيرة لنعرف قضية التّضادّ في العربية، فقد ألف علماء العربية الكثير من الكتب في الأضداد منها الأضداد للأصمعيّ، والأضداد للأبي حاتم السجّستاني 255هـ، الأضداد لابن السكّيت 244هـ، والأضداد في كلام العرب لأبي الطيّب اللّغويّ، والأضداد للصّاغانيّ، والأضداد لأبي علي محمد بن المستنير قطرب 206هـ، والأضداد لأبي محمد بن سعيد المبارك المعروف بابن الدّهان 569هـ، ورسالة الأضداد لمحمد جمال الدّين المنشيّ 1001هـ، والقائمة تطول هذا بغضّ النظر عمّا ألفه المحدثون، وبه فقد حظي موضوع التّضاد بعناية كبيرة عند القدامى خاصة لاستغلاله مطية من قبل الشعوبية للانتقاص من العربية، إلّا أنّ أغلب اللّغويين عدوه من سنن العربية، وهو عنوان من عناوين بلاغتها وثرانها.

ومعناه أن يدلّ اللفظ الواحد على المعنى ونقيضه، ذكره المبرد تحت تسمية " ما يقع على شيئين متضادين "وسماه ابن فارس " اختلاف الأضداد "، وأورده الثعالبي تحت " تسمية

⁸ أبو منصور الثعالبي، فقه اللّغة وسر العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د ت، د ط، ص 27.

المتضادين باسم واحد "، حيث يكون فيه اعتداد بالمتلقي وقدرته على الاهتداء إلى المعنى المقصود من السياق، وتعود أهميته زيادة على ذلك لورود بعض الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم وتوقف الفهم في بعض القضايا الفقهية على دلالاتها كلفظ القرء الذي يفيد معنى الحيض، والظهر معا.

وذهب البعض إلى أنه " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تدخل الاثنان على جهة الاتساع، فمن ذلك : الصريم ، يقال للَّيل صريمٌ، وللنهار صريمٌ، لأنَّ الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع.⁹

الصارخ يقال للمغيث والمستغيث؛ فالمغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالإستغاثة، فأصلهما من بابٍ واحد¹⁰

السدفة؛ للظلمة والضوء فأصل السدفة الستر، فكأنَّ النهار إذا أقبل ستر ضوءه ظلمة الليل، وتستتر ظلمة الليل ضوء النهار

الجل: لفظ يقال للعظيم، واليسير

والبعض يُقال للكلّ والبعض،

والظنّ للشكّ والعلم

وفي مذهب آخر في تفسير الأضداد قال بعض العلماء " إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربيّ أوقعه عليهما بمساواةٍ منه بينهما، ولكن أحد المعنيين حيّ من العرب والمعنى الآخر حيّ غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الأبيض في لغة حيّ من العرب، والجون الأسود في لغة حيّ آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر

أسباب وقوع التضاد في العربية:

التضاد في العربية إلى عوامل كثيرة كالتأثر باللغات المجاورة لأسباب التداخل والاحتكاك(تاريخية)، يحدث المقترض والدخيل والمولد، وفيه تغيّرات صوتية ومعنوية ودلالية.

تداخل اللهجات في شبه جزيرة العرب، أدّى إلى التغير الدلالي وانتقال الدلالة من المعنى إلى النقيض.

⁹ ابن الأنباري: أبو محمد ابن القاسم الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ت ن 1987، المجلد الواحد، بالشرح، ص 8.

¹⁰ ابن الأنباري: الأضداد، ص 8، 9.

اتّساع الرّقعة الجغرافية أدّى إلى الاتّساع في استخدام الألفاظ،
التداخل بين الحقيقة والمجاز قبل عصر التدوين وإثبات ذلك في المعجم،
الأسباب النفسية والاجتماعية كالتفاوت والتلفظ وغيرها كما في لفظ السليم والبصير دلالة
على اللديغ والأعمى، والفتح دلالة على الغلق.
بعض الصيغ الصرفية تدل على المتضادين، صنّفها البعض من ملامح شجاعة العربية، فهي
عند غيرهم علامة على التناقض.

ثانياً/ الاشتراك، المشترك اللفظي.

هو عند اللغويين تحت مسمى المشترك اللفظي، وهي عند الأصوليين تحت مسمى
الوجوه والنظائر، " ومعنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من
القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكلّ مكانٍ معنى غير الآخر، فلفظ كلّ كلمةٍ
ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كلّ
كلمة بمعنى غير الأخرى هو الوجوه.

فإنّ النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه : اسم للمعاني. " من المؤلّف في هذا الباب، ما اتّفق
لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرّد، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل
سليمان البلخي ت150هـ، ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن خلد ت240هـ، الوجوه
والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى الأزدي ت170هـ، الوجوه والنظائر للدماغاني.
المراد بالمشارك عند اللغويين، هو اجتماع معنيين فأكثر في لفظ واحد، أو دلالة لفظ
واحد على أكثر من معنى؛ قال سيبيويه في هذا السياق: " اعلم أنّ من كلامهم ما اتفق لفظه
واختلف معناه "11، المشارك هو مسألة منطقية في اللّغة، لما للاشتراك من عظيم الأثر في
فهم اللّغة وتحديد الدلالة المقصودة، وعرفه السيوطي بقوله " اللفظ الواحد الدال على
معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة. "12
لفظ الخال: هو أخ الأم، والخال الذي في الوجه، والخال مصدر خلت ذلك الأمر أخالة خالا
ومخاله، وهو الظن منك للشيء، والخال السحاب من المخيلة، والخال الكبير، وثياب الخال
يمانية.

ملاحظة.

يؤدّي المجاز والغموض، أهمّ الأدوار في حدوث المشارك اللفظي كالتجاوز بلفظة عين من
الدلالة الحقيقية العين الباصرة، إلى الجاسوس إلى عين الماء، وعين الشمس، وأشار ابن
السراج إلى اختلاف أحياء العرب في إطلاق الدوال على المدلولات، ومنه الاقتراض حيث

¹¹ سيبيويه، الكتاب، ت ش عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 4، ت ط 2004م، ج 1، ص 7.

¹² السيوطي، المزهري، ج 1، ص 396.

يكون اللغة في لفظ لمعنى ثم يستعار اللفظ نفسه من لغة أخرى لمعنى آخر مثل: الحبُّ هو الوداد في اللغة العربية، والحبُّ هو جرّة الماء في الفارسية.¹³

المصادر.

1/ قطرب أبو علي محمد بن المستنير، الأضداد، د ت، د ط، وأورده ابن الأنباري : أبو محمد ابن القاسم الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ت ن 1987، المجلد الواحد، بالشرح ص 5، 7، 8.

2/ السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت ح محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ت ط 1987م.

3/ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية.

4/ ابن الأنباري، أبو محمد ابن القاسم الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ت ن 1987م.

5/ محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، دمشق سورية، ط 1، ت ط 1999م.

6/ أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د ت، د ط

7/ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة.

8/ سيبويه، الكتاب ، ت ش عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي القاهرة ، ط 4 ، ت ط 2004م، ج 1، ص 7.

¹³ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص 331.